AL-BASIRAH
Journal Homepage: http://e-journal.um.edu.my/publish/albasirah/

أهمية علم المناسبات في فهم القرآن

نور الله كورت[1]، الجازي منصور العجمي[2]

ملخص البحث

لا شك أن علم المناسبات من أهم العلوم التي تخدم القرآن الكريم، وتبرز حقائقه التي لا يمكن الوصول إليها إلا به، فهو علم جليل القدر، وعظيم الفائدة، ولا يستغني عنه أي دارس للقرآن الكريم بغض النظر عن مستواه العلمي، أو الثقافي، يقول الإمام السيوطي رحمه الله تعالى: علم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته، فالقرآن الكريم هو المنبع الغزير لشتى العلوم، ومختلف الفنون، وعلم المناسبات هو المفتاح لها، فهو الذي يحوي من بيان إعجاز النظم القرآني، والتناغم بين سوره وآياته، إلى درجة يجد القارئ أن الآيات والسور قد انتظمت غاية الانتظام، وارتبطت بعضها ببعض أشد الارتباط، مما يعينه على فهمها بشكل أفضل، ومعرفة مدلولاتها بطريقة أوضح، وبالتالي يحصل له الاطمئنان النفسي بمعرفته مدى التلازم بين أحكام الشريعة، وبين أسرار التكرار في القصص القرآني مثلا، فأكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط كما يقوله الفخر الرازي رحمه الله تعالى، ومن هنا فنسبة علم المناسبات من علم التفسير كنسبة علم البيان من النحو، وهذا البحث هو محاولة متواضعة لإلقاء الضوء على بعض جوانب هذا العلم النفيس غاية النفاسة، والجهود التي بذلها العلماء في تدوينه بصورة مختصرة من خلال مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة، عسى أن يكون فاتحة خير لمن أراد المزيد فيه.

الكلمات المفتاحية: علم المناسبة، اعجاز القرآن، فهم القرآن، تطور علم المناسبة، أسرار القرآن.

[1] نور الله كورت ، الأستاذ الدكتور، قسم التفسير والحديث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، خالدية، جامعة الكويت.

[2] الجازي منصور العجمي ، قسم التفسير والحديث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، خالدية، جامعة الكويت.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين، وبعد:

من المعلوم لدى أي دارس لكتب التفسير وعلومه، أو مطلع عليهما أن معظم المفسرين قديما وخاصة حديثا لم يغفلوا عن ذكر المناسبة بين الآية والتي قبلها، أو بين السورة والتي قبلها، أو بين مقاطع السورة نفسها إذا كانت السورة طويلة أو متوسطة نوعا ما، أو بين أول السورة وآخرها، أو بين آخر السورة وأول السورة التي تليها، كما هو معلوم من أقسام المناسبات في محلها، أو المناسبة بين ذكر حكم من الأحكام الشرعية أو الاجتماعية أو الأخلاقية وغيرها وما قارنه من أسماء الله وصفاته مثلا، أو بين نظم وترتيب عدة صفات أو أخلاقيات في سياق واحد على سبيل المثال وليس الحصر، ونحو ذلك مما هو كثير في القرآن الكريم، مما يدفع بالدارس إلى اليقين الجازم بأن هذا العلم علم عظيم حظي بعناية العلماء واهتمامهم وأفردوا له المؤلفات تحقيقاً أو تطبيقاً من جانب، أو القرآن الكريم كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

إن الحديث عن اهتمام العلماء قديماً وحديثاً بعلم المناسبات، وبيان أسرار القرآن الكريم عبره لحديث يطول لو أردنا أن نذكر هنا كل ما ذكروه وكتبوه حول هذا العلم الجليل، فقد صنفوا فيه المصنفات، وتناولوه بالدراسة كوجه من أوجه إعجاز القرآن الكريم، يقول الزركشي: "واعلم أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول[٣]"، ومن هنا سنحاول قدر الامكان أن نحافظ على إبراز العنصر الأساسي، والهدف الرئيسي من الدارسة ألا وهو أهمية علم المناسبات في فهم القرآن الكريم، بأبسط العبارات وأقصرها، من غير أن نتعرض كثيرا للاستطرادات التي قد تبعدنا بشكل أو بآخر عن المقصود.

هذا وقد قسمنا بحثنا إلى مقدمة وثلاثة مطالب، وخصصنا المطلب الأول لعلم المناسبات، والمطلب الثاني جعلناه لترتيب سور وآيات القرآن، وأقوال العلماء في ذلك، بينما تركنا المطلب الثالث لأقسام علم المناسبات، وفيه ثلاثة محاور، أما الخاتمة فهي كالعادة جعلناها لأهم النتائج المستفادة من الدراسة.

---

[٣] الزركشي، بدر الدين محمد، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، المجلد الأول، ص:٣٥.

أهمية علم المناسبات

المطلب الأول– علم المناسبات:

أولا–تعريف علم المناسبات لغة واصطلاحا:

أ- لغة:

يعرف ابن فارس رحمه الله المناسبات في اللغة بقوله: جمع مناسبة، وهي مصدر من ناسب يناسب مناسبة، ومادتها (النون والسين والباء) كلمة واحدة مادتها اتصال شيء بشيء[٤].

ويعرفها الزركشي رحمه الله بقوله: "المناسبة: المقاربة والمشاكلة، وفلان يناسب فلاناً أي يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب أي القريب المتصل[٥]".

ومنه قول الله تعالى في سياق الإنكار على المشركين: "وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا[٦]"، والمقصود بالنسب هنا كما يقوله ابن عاشور رحمه الله هي القرابة العمودية أو الأفقية أي من الأطراف[٧].

ويعرفها السيوطي رحمه الله بقوله: المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه[٨].

ويتضح من التعريفات السابقة التي ذكرها العلماء وأهل الأرباب أن المناسبة تعني المقاربة أو المشاكلة لسبب من الأسباب، قد يكون عاما وقد يكون خاصا، كما أنه قد يكون حسيا أو معنويا، إلى آخر ما ذكر، والله أعلم.

ب- اصطلاحا:

قصدنا بالاصطلاح هنا هو ما اصطلح عليه علماء التفسير وعلوم القرآن في تعريفهم المناسبة بشكل خاص، كما أن المراد بقولهم: وجوه ارتباط أجزاء القرآن بعضها ببعض، يعني الشمول للآية مع الآية، والحكم مع الحكم، والسورة مع السورة، والقصة مع القصة، وكل جزء من القرآن مع ما قارنه.

---

٤ ابن فارس، أحمد بن فارس القزويني، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م، المجلد الخامس، ص: ٤٢٣.

٥ الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، المجلد الأول، ص: ٣٥.

٦ سورة الصافات: ١٥٨.

٥ ابن عاشور، الطاهر بن محمد، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)**، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ه، المجلد الثالث والعشرون، ص: ١٨٦ـــ

٨ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، **الاتقان في علوم القرآن**، التحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، العدد أربعة أجزاء، الجزء الثالث، ص: ٣٧١.

يعرف البقاعي رحمه الله المناسبة في الاصطلاح بقوله: هي علم تعرف به علة الترتيب[٩]. ونعتقد أنه رحمه الله يقصد بتعريفه هذا التعريف العام في الاصطلاح الذي اتفق عليه كثير من أهل الأرباب.

يقول محمد بازمول في معرض بيانه تعريف المناسبات في اصطلاح علماء القرآن: فإن مناسبات القرآن هي علل ترتيب أجزائه بعضها ببعض، أو هي: المعنى الذي يربط بين سوره وآياته[١٠].

ويعبر الزمخشري رحمه الله في تفسيره عن تلك العلل بالمناسبة أو المناسبات[١١]. كما يعبر عنها فخر الرازي رحمه الله بلطائف القرآن حيث يقول: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط[١٢].

أما الإمام عبد الحميد الفراهي فله تعبير آخر في تعريفه علم المناسبات، حيث يعبر عنه بعلم النظام – بل سمى كتابه القيم بـــ " تفسير نظام القرآن"– قائلا: " ومرادنا من النظام أن تكون السورة وحدة متكاملة، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، وعلى هذا الأصل، ترى القرآن كله كلاماً واحداً، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر[١٣]".

ثانيا–نشأة علم المناسبات

ذكر العلماء أن أبا بكر النيسابوري هو أول من أظهر علم المناسبات في بغداد، وكان يزري على علماء بغداد لجهلهم وجوه المناسبات بين الآيات، وكان إذا قرأت عليه آية أو سورة يقول:" لم جعلت هذه الآية إلى هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جانب هذه السورة[١٤]".

وهذه الأولية ليست أولية زمانية، إنما هي باعتبار شدة العناية والتعليم، وإلا فالمتتبع لتفاسير السلف حتى من الصحابة يجدهم يتحدثون أحياناً عن المناسبات في بعض المواطن وإن كانت قليلة، وهذا العلم لم ينص عليه الأوائل، وإنما اعتبره الصحابة والتابعون –بالاستقراء والممارسة في تفسيرهم ، ولم يُنص على هذا العلم بهذا الاسم إلا عند المتأخرين، وذلك شأن جميع العلوم تقريبا، فإن العلوم كانت ممارسة عند السلف، ولكن التسمية

---

[٩] البقاعي، ابراهيم بن عمر، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولىـــ، ١٩٨٧م، المجلد الأول، ص: ١٤٢.

[١٠] بازمول، محمد بن عمر، **علم المناسبات في السور والآيات**، المكتبة الملكية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـــ، ص: ٢٧.

[١١] الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، بيروت،١٤٠٧ هـــ، العدد أربعة أجزاء، الجزء الثاني، ص: ٧٤١.

[١٢] الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة بيروت، ١٤٢٠ هـــ، العدد ٣٢ جزءا، الجزء العاشر، ص: ١١٠.

[١٣] الفراهي، عبد الحميد، **تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**، الدائرة المحمدية، الطبة الأولى، الهند ٢٠٠٨، ج١، ص: ٩٣.

[١٤] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، المجلد الأول، ص:٣٦.

جاءت متأخرة، فعلم النحو مثلاً كان ممارساً و لم يكون موجوداً ، وعلم البلاغة كان ممارساً و لم يكن موجوداً، وهكذا في علوم القرآن في أنحاء شتى، ومصطلح الحديث وعلوم أخرى.

وقد صرح البقاعي بقدم علم المناسبات القرآنية، وانتشاره بين الصحابة والتابعين واعتمادهم إياه في فهم آي الكتاب الحكيم فقال: "كان أفاضل السلف يعرفون هذا بما في سليقتهم من أفانين العربية ودقيق مناهج الفكر البشرية، ولطيف أساليب النوازع العقلية، ثم تناقص هذا العلم حتى انعجم على الناس، وصار إلى حد الغرابة كغيره من الفنون[١٥]"، ومن أمثلة ما ذكر عن الصحابة في هذا ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه حدث أن قوماً يدخلون النار ثم يخرجون منها، فقال القوم: أوليس الله تعالى يقول: "يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم[١٦]"، فقال لهم أبو سعيد رضي الله عنه: اقرؤوا ما فوقها: "إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم[١٧]".

ثالثا–أهمية علم المناسبات

من المعلوم أن ترتيب سور القرآن الكريم وآياته إنما كان بتوقيف من الله اللطيف الخبير على أرجح الأقوال كما سيأتي، ونحن نعلم يقينا أن الله عز وجل ما قدم هذه السورة على تلك، وما استفتح بهذه الآية هذه السورة، وما ختم تلك السورة بكذا، إلا لمناسبة، قد تظهر حتى يعلمها المتدبر لكتاب الله تبارك وتعالى، وقد تدق حتى لا تكاد تعلم، أو لا تعلم على وجه اليقين أصلاً.

وقد سبقت الاشارة إلى طرف من أهمية علم المناسبات من خلال التعريف ونشاته، وإن كان لابد من كلمة حول أهميته فليس هناك أفضل مما قاله علماؤنا فيه قديما وحديثا، فجزاهم الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

لقد أبان العلماء فيما سطروه بجلاء عـــــــــن أهمية هذ العلم وعظيم الفائدة بمعرفته، يقول الإمام الفخر الرازي: أكثر لطائف القرآن مودَعة في الترتيبات والروابط[١٨].

ويقول القاضي أبو بكر العربي رحمه الله تعالى وهو يكشف عن منزلة هذا العلم وأهميته: ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسعة المعاني، منتظمة المباني... علم عظيم لم يتعرض له إلا

---

[١٥] البقاعي، ابراهيم بن عمر، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ج ١، ص: ١٤٢.

[١٦] المائدة: ٣٧.

[١٧] المائدة: ٣٦.

[١٨] للزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، المجلد الأول، ص:٣٦.
السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، المجلد الثالث، ص: ٣٦٩.

عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله ــ عز وجل ــ لنا فيه، فلما لم نجد له حَمَلَةً ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه[١٩].

ويقول الإمام الزركشي رحمه الله: واعلم أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول[٢٠].

يقول الإمام الرازي في تفسير سورة البقرة مبيناً أهمية هذا العلم: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأمور، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر[٢١].

ويقول الشيخ البقاعي رحمه الله تعالى مبيناً فائدة جليلة من فوائد معرفة هذا العلم: وبهذا العلم: يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقتين:

إحداهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب.

والثانية: نظمها مع تاليتها بالنظر إلى الترتيب. والأول أقرب تناولاً وأسهل ذوقاً؛ فإن كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتز لمعانيه وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره، ثم إذا عبر الفطن من ذلك إلى تأمُّل ربط كل جملة بما تلته وما تلاها خفي عليه وجه ذلك، ورأى أن الجمل متباعدة الأغراض متنائية المقاصد، فظن أنها متنافرة، فحصل له من القبض والكرب أضعاف ما حصل له بالسماع من الهزّ والبسط، ربما شككه ذلك وزلزل إيمانه؛ فإذا استعان بالله وأدام الطرق لباب الفرج بإنعام التأمل وإظهار العجز والوقوف بأنه في الذروة من إحكام الربط كما كان في الأوج من حسن المعنى، فانفتح له ذلك الباب، ولاحت له من ورائه بوارق أنوار تلك الأسرار رقص الفكر منه طرباً وشاط لعظمة ذلك جنانه، ورسخ من غير مرية إيمانه[٢٢].

ويقول الشيخ محمد دراز: أجل إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حشيت حشواً وأوزاعاً من المباني جمعت عفواً، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية

---

[١٩] الزركشي، **المرجع السابق**، المجلد الأول، ص: ٣٦.

السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج ٣، ص: ٣٦٩.

[٢٠] الزركشي، **المرجع السابق**، لمجلد الأول، ص: ٣٥.

[٢١] الرازي، **مفاتح الغيب**، ج ٧، ص: ١٠٦.

[٢٢] البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، العدد ٢٢ جزءا، ج١، ص: ١٠-١٢.

مجلة البيان، اصدار المندى الإسلامي، العدد: ١٤٦، ص: ١٨.

على أسس وأصول، وأقيم على كل فصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد تمام التضام، والالتحام، كل ذلك بغير تكلف ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، إنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يريك المنفصل متصلاً والمختلف مؤتلفا[٢٣]".

رابعا–علم المناسبات بين الجواز والمنع:

للعلماء في جواز أو منع علم المناسبات في القرآن الكريم قولان:

القول الأول: المنع:

وممن ذهب إلى ذلك العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى حيث قال:" المناسبات علم حسن، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر"، وقال: " ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة وأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض[٢٤]".

كما ذهب إلى هذا الرأي أيضاً الشوكاني في تفسيره:" اعلم أن كثير من المفسرين جاءوا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة بل أوقعوا أنفسهم في المتكلم بمحض الرأي المنهي في الأمور المتعلقة بكتاب الله، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ويتتره عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه[٢٥]".

---

٢٣ دراز، محمد بن عبد الله، **النبأ العظيم**، دار القلم للنشر والتوزيع، طبعة مزيدة ومحققة، ٢٠٠٥م، المجلد الأول، ص: ١٨٨.

٢٤ الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، المجلد الأول، ص: ٣٧.

٢٣ الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار ابن كثير، دمشق، طبعة ١، ١٤١٤هـ، ج١، ص: ٨٥.

القول الثاني: الجواز:

ذهب جمهور العلماء وعامتهم إلى جواز التناسب بين الآيات، أو بين السورتين، أو بين مقاطع السورة الواحدة، أو بين أول السورة وآخرها، أو المناسبة بشكل عام.

وقد يقول قائل: كيف تطلب المناسبات بين الآيات والسور علماً بأنها نزلت مفرقة كل واحدة منها في زمن يخالف زمن الأخرى، وفي قضية مغايرة لمضمون ما جاورها[٢٦]؟ وقد أجاب عن هذا التساؤل الزركشي فيما نقله عن بعض مشايخنا المحققين قائلا:" قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة، لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب أنها على أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف[٢٧]".

ويزيد هذا الجواب إيضاحاً الشيخ محمد عبد الله دراز فيقول: "إن كانت بعد تنزيلها جمعت عن تفريق فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع، كمثل بنيان كان قائماً على قواعده فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه قدرت أبعاده ورقمت لبناته ثم فُرِّق أنقاضاً، فلم تلبث كل لبنة أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصاً يشد بعضه بعضاً كهيئته أول مرة[٢٨].

ونحن من جانبنا نرى – والله أعلم – أن علم المناسبات هو علم اجتهادي بمعنى أن كل ناظر في القرآن الكريم يستطيع أن يستنبط وجوهاً جديدة يعلل فيها التناسب بين آيات القرآن الكريم وبين سوره أيضاً، بشرط أن يكون عنده علم بمختلف علوم القرآن واللغة، مع عدم التكلف وحمل الآيات ما لا تحتمل.

خامسا–قواعد معرفة المناسبة.

القاعدة الأولى

يذكر بعض المتأخرين أن الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر إلى الغرض الذي سيقت له السورة وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها فهذا هو

---

[٢٦] محمد بن عبد العزيز الخضيري، http://islamselect.net/mat/533، 23 أبريل ٢٠١٦، الساعة ١٤,١٦ بتوقيت الكويت.

[٢٧] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، المجلد الأول، ص: ٣٧.

[٢٨] مصطفى مسلم، **مباحث في التفسير الموضوعي**، ص: ٥٧

الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن فإذا فعلته تبين لك وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة انتهى[٢٩].

ويقول البقاعي: تتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها؛ فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو[٣٠].

القاعدة الثانية

يقول الإمام الزركشي رحمه الله تعالى: وعادة القرآن العظيم إذا ذكر أحكاماً ذكر بعدها وعداً ووعيداً؛ ليكون ذلك باعثاً على العمل بما سبق، ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه؛ لُيعلم عظم الآمر والناهي، وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة وغيرها تجده كذلك[٣١].

القاعدة الثالثة:

المزاوجة بين الوعد والوعيد، والبشارة والنذارة، والترغيب والترهيب؛ وفي ذلك من الحكمة والمناسبة ما هو بيِّن لكل متأمل[٣٢].

القاعدة الرابعة

يقول الإمام السيوطي رحمه الله تعالى[٣٣]: إن عادة القرآن إذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد؛ حيث يعرض يوم القيامة أردفه بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدينية في الدنيا التي تنشأ عنها المحاسبة

---

٢٩ السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، المجلد الثالث، ص: ٣٧٦.

٣٠ البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١، ص: ٦.

٣١ الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، لمجلد الأول، ص: ٤٠.

٣٢ محمد بن عبد العزيز الخضيري، **http://islamselect.net/mat/533**، 23 أبريل ٢٠١٦، الساعة ١٤,١٦ بتوقيت الكويت.

٣٣ السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، المجلد الثالث، ص: ٣٧٧.

عملاً وتركاً، كما قال في سورة الكهف: "ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه... إلى قوله: ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل... [٣٤]".

سادسا– فوائد علم المناسبات:

لقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى الكثير من الفوائد لعم المناسبات، ولعل من أهم هذه الفوائد التي ذكروها ما يلي بالاختصار

١. أنه يزيل الشك الحاصل في القلب بسبب عدم التأمل في دقة النظم وإحكام الترتيب، وقد تقدم كلام البقاعي في هذه القضية[٣٥].
٢. أنه يفيد في معرفة أسرار التشريع وحِكَم الأحكام وإدراك مدى التلازم التام بين أحكام الشريعة؛ فإذا قرأت قوله تعالى: "قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم[٣٦]" وتعرفت على المناسبة بين الأمر بغض البصر وحفظ الفرج علمت ما بينهما من التلازم والتلاؤم؛ فحفظ الفرج لا يتم إلا بغض البصر، ومن أطلق بصره في الحرام فحري أن تزلّ قدمه في الآثام[٣٧].
٣. أنه يعين على فهم معنى الآيات وتحديد المراد منها، ومن ذلك: خلاف المفسرين في معنى قوله تعالى: "والصافات صفا[٣٨]"، فقال قوم: هي الملائكة، وهذا قول الجمهور، وقال آخرون: هي الطير، والصحيح الأول؛ وذلك لأنا لو بحثنا عن المناسبة بين أول السورة وخاتمتها لوجدناه ذكر في الخاتمة في معرض حديث الملائكة عن أنفسهم: "وإنا لنحن الصافون . وإنا لنحن المسبحون[٣٩]".
٤. وبه يتبين لك سر التكرار في قصص القرآن، وأن كل قصة أعيدت في موطن فلمناسبتها ذلك الموطن، ولذلك ترى اختلافاً في ترتيب القصة ونظمها بحسب المناسبة وإن كانت متحدة في أصل المعنى[٤٠].

---

[٣٤] سورة الكهف: ٤٩ – ٥٤.

[٣٥] محمد بن عبد العزيز الخضيري، http://islamselect.net/mat/533، 23 أبريل ٢٠١٦، الساعة ١٤,١٦ بتوقيت الكويت.

[٣٦] سورة النور: ٣٠.

[٣٧] البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١، ص: ١٤.

[٣٨] سورة الصافات:١.

[٣٩] سورة الصافات: ١٦٥-١٦٦.

[٤٠] البقاعي، ، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١، ص: ١٤.

– محمد بن عبد العزيز الخضيري، http://islamselect.net/mat/533، ٢٣ أبريل ٢٠١٦، الساعة ١٤,١٦ بتوقيت الكويت.

سابعا–أبرز من كتب في علم المناسبات:

١- أبو بكر النيسابوري حيث كان كثير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي في بغداد إذا قرئت عليه الآية: لمَ جعلت الآية جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة في جنب هذه السورة؟.

٢- فخر الدين الرازي حيث تميز بالإكثار من تلمس المناسبات في تفسيره.

٣- أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير الغرناطي في كتاب البرهان في ترتيب سور القرآن.

٤- برهان الدين البقاعي في كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.

٥- أبو الحسن الحرالي المغربي (٦٣٧هـ.) ويتهم البقاعي بأنه قد أخذ كل ما في كتابه (نظم الدرر) من كتابه. يقول المناوي في الكواكب الدرية ٤٦٥/٢ في ترجمة الحرالي: (وصنف تفسيراً ملأه بحقائقه، ودقائق فكره، ونتائج قريحته، وأبدى فيه من مناسبات الآيات والسور ما يبهر العقول، وتحار فيه الفحول، وهو رأس مال البقاعي، ولولاه ما راح ولا جاء ، ولكنه لم يتم ، ومن حيث وقف وقف حال البقاعي في مناسباته.

٦- البقاعي رحمه الله في كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، وكتابه مؤلف مستقل لتلمس المناسبات بين الآيات والسور وهو كتاب نفيس في بابه.

٧- ابن النقيب الحنفي ، حيث تصدى في تفسيره لذكر المناسبات.

٨- جلال الدين السيوطي فقد ألف كتابه تناسق الدرر في تناسب السور، وكتاب أسرار التنزيل.

٩- الشيخ محمد عبده في تفسير المنار الذي جمعه وأتمه رشيد رضا.

١٠- من المعاصرين سيد قطب في كتابه في ظلال القرآن، وفي كتابه الآخر التصوير الفني في القرآن، وقد أبدع في إبراز ألوان من التناسق الفني في التصوير القرآني [٤١].

١١- الشيخ مصطفى المراغي رحمه الله في تفسيره.

١٢- الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري في كتابه جواهر البيان في تناسب سور القرآن.

١٣- الشيخ طاهر الجزائري حيث تكلم عنه وعن أهميته وفوائده في كتابه التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن.

١٤- الفراهي في تفسيره نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان.

[٤١] الشهري، عبد الرحمن بن معاضة، **علم المناسبات في القرآن**، بحث منشور في الإنترنت، موقع رسالة الجامعة. بتصرف.

المطلب الثاني– صلة علم المناسبات بترتيب السور والآيات:

إن لموضوع ترتيب الآيات والسور أهمية خاصة في علم المناسبات، إذ إن القول بالتوقيف يفتح أمام المفسر المجال ليبين الإعجاز البلاغي والنظمي في ضم سورة إلى سورة أو آية إلى آية، لذلك لابد من بيان هذه المسألة، وهي ترتيب السور والآيات، وذكر أقوال العلماء فيه.

أولا– ترتيب سور القرآن وأقوال العلماء فيه:

ترتيب سور القرآن: من المعلوم أن القرآن الكريم قد نزل على النبي عليه الصلاة والسلام وحياً من السماء، على مدار ما يقارب ثلاثة وعشرين سنة، وكانت الآيات في الغالب تنزل متفرقة، ولم ينزل من القرآن على صورة سور كاملة إلا بعض سور كسورة الفاتحة وسورة الأنعام.

وقبل الشروع في بيان ترتيب السور لابد من تعريف السورة في اللغة والاصطلاح، والمقصود من ترتيب السور في المصحف.

تعريف السورة لغةً

قال ابن منظور: "والسورة: المنزلة، والجمع سور، والسورة من البناء: ما حسن وطال. وقال الجوهري: والسور جمع سورة، مثل بسرة وبسر، وهى كل منزلة من البناء، ومنه سورة القرآن، لأنها منزلة بعد منزلة، مقطوعة عن الأخرى، والجمع سور ... ويجوز أن يجمع على سورات، وسورات. وسميت السورة من القرآن سورة لأنها درجة إلى غيرها، ومن همزها جعلها بمعنى بقية من القرآن وقطعة، وأكثر القراء على ترك الهمزة فيها. من سؤرة المال، ترك همزه لما كثر في الكلام... وأنشد النابغة: ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب، معناه: أعطاك رفعة وشرفا ومنزلة[٤٢].

تعريف السورة اصطلاحا:

أما تعريف السورة اصطلاحا فقد عرفها الزرقاني رحمه الله بقوله: هي طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع. يعنى بداية ونهاية[٤٣].

---

[٤٢] – ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب** ، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة،١٤١٤ه، باب الراء، فصل السين المعجمة، ج ٤، ص: ٣٨٦.

[٤٣] – الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان**، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، المجلد الأول، ص: ٣٥٠.

ترتيب الآيات والسور:

المراد من ترتيب الآيات والسور في القرآن الكرين هو كيفية وضع كل سورة من سور القرآن في موضعها الذي عليه اليوم في المصحف، من حيث الترتيب بصورة ثابتة[٤٤].

أقوال العلماء في ترتيب السور:

الناظر إلى أقول العلماء رحمهم الله تعالى في ترتيب السور القرآنية، يرى أنهم اختلفوا فيه على ثلاثة أقوال، وإليك بينها بالاختصار:

القول الأول– التوقيف من الرسول:

يرى أصحاب هذا القول أن ترتيب السور بتوقيف من الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم توضع سورة في موضعها من المصحف إلا بناء على أمر الرسول صلى الله عليه وسلم.

أدلتهم

١- ما أخرجه أحمد في حديث حذيفة الثقفي، في الذين أسلموا من وفد ثقيف، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (طرأ علي حزبي، فأردت ألا أخرج حتى أقضيه)، فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور، وحزب المفصل من ق حتى نختم[٤٥].
فهذا يدل على أن ترتيب سور المفصل على ما هو في المصحف الآن كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- ومما يدل على التوقيف كون الحواميم رتبت ولاءً، أي: متتابعةً، و لم ترتب المسبحات ولاءً، بل فصل بين سورها، فلو كان الترتيب اجتهادياً لما حصل الفرق بين المتماثلات من السور في الفواتح مع التناسب في الطول والقصر.

٤٤– **مجلة البحوث والدراسات القرآنية** – بحث بعنوان ترتيب سور القرآن

٤٥ أخرجه أبوداود في السنن – كتاب فضائل شهر رمضان، أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيبه، باب تحزيب القرآن، رقم الحديث: ١٣٩٣.

٣- أن الصحابة أجمعوا على ترتيب المصحف الذي كتب في عهد عثمان، و لم يخالف في ذلك أحد، حتى من كان عنده مصاحف مكتوبة على ترتيب آخر، فلو لم يكن الأمر توقيفياً، لتمسك أصحاب المصاحف بمصاحفهم، لكنهم حرقوها، فدل ذلك على أن الأمر لا مجال للرأي أو الاجتهاد فيه[٤٦].

يقول الإمام البغوي رحمه الله تعالى:" والصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزل الله على رسوله من غير أن يزيدوا أو ينقصوا منه شيئا، خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا، بتوقيف جبرئيل إياه على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب كذا في سورة كذا فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا، ثم كان يتزله مفرقا عند الحاجة وترتيب التزول غير ترتيب التلاوة[٤٧]".

وهذا هو الرأي الراجح فيما نرى، لقوة أدلتهم، ولأن الله تعالى هو الذي تكفل بحفظ القرآن الكريم فقال عز وجل: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون[٤٨]"، فلم يكن حفظ القرآن موكلاً إلى أحد من البشر، ولأن القول بالتوقيف يرد على من يزعم أن الصحابة زادوا أو أنقصوا من القرآن الكريم.

القول الثاني– باجتهاد من الصحابة:

يرى أصحاب هذا القول الثاني أن ترتيب السور القرآنية كان باجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، وممن قال بهذا القول أيضا عالم المدينة الإمام مالك رحمه الله.

أدلتهم:

استدل أصحاب هذا القول باختلاف ترتيب مصاحف الصحابة رضي الله نعنهم قبل الجمع في عهد عثمان رضي الله عنه، فلو كان الترتيب توقيفياً لما اختلفت مصاحفهم في ترتيب السور.

وقد حاول الزركشي التوفيق بين هذين القولين، بأن جعل الخلاف بين الفريقين لفظياً، لأن القائل بالاجتهاد رمز إليهم ذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته[٤٩].

---

٤٦ أبو شهبة، محمد بن محمد، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ط١، ١٤٢٤ه، ص: ٣٢٥– ٣٣ بتصرف شديد.

٤٧ البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، **شرح السنة، تحقيق:** شعيب الأرنوط– محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، **الطبعة** الثانية، ١٩٨٣م. كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم الحديث: ١٢٣٢.

٤٨ سورة الدخان: ٩.

٤٩ – الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، المجلد الأول، ص:٢٥٧.

القول الثالث– التفصيل:

يرى أصحاب هذا القول الثالث أن الكثير من السور القرآنية علم ترتيبها بالتوقيف، والبعض فقط كان ترتيبها اجتهادياً.

وممن ذهب إلى هذا القول ابن عطية رحمه الله حيث يقول: " ظاهر الآثار على أن السبع الطوال والحواميم والمفصل كان مرتباً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان في السور ما لم يرتب، فهذا هو الذي رتب وقت الكتب[٥٠]".

وخلاصة القول في هذه المسألة حسبما نرى – والله أعلم –: أن ترتيب السور في القرآن سواءً كان بتوقيف من الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع سوره أو أكثرها، أو كان باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم برمز أو بإشارة من الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنه قد أصبح أمراً مجمعاً عليه من الأمة، ولا يجوز مخالفته وكتابة المصحف بترتيب آخر غير الذي كان في عهد عثمان رضي الله عنه، لأنه اجماع من الصحابة رضي الله عنهم، ولأن مخالفته تجر إلى الفتنة، ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن درء الفتنة واجب.

[٥٠]– ابن عاشور، الطاهر بن محمد، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد** (**التحرير والتنوير**)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ه، المجلد الأول، ص: ٨٦ـــ.

ثانيا–ترتيب آيات القرآن وأقوال العلماء فيه:

تعريف الآية لغة:

في المعجم الوسيط (الآية) العلامة والأمارة والعبرة، قال تعالى:{فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية[٥١]} والمعجزة، قال تعالى:{وجعلنا ابن مريم وأمه آية[٥٢]} والشخص والجماعة، ومن القرآن جملة أو جمل أثر الوقف في نهايتها غالبا، وفي التنزيل العزيز:{وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر[٥٣]} (ج) آي[٥٤].

وبهذا يظهر أن معنى الآية في اللغة يدور حول العلامة، الأمارة، العبرة، المعجزة، الشخص والجماعة، جملة أو جمل أثر الوقف في نهايتها غالبا، كما اتضح من التعريف السابق، وهو تعريف جامع إلى حد كبير.

تعريف الآية اصطلاحا:

يعرف الإمام الزرقاني رحمه الله تعالى الآية اصطلاحا بقوله: وأما في الاصطلاح فهي طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن[٥٥].

ترتيب الآيات:

أجمعت الأمة الإسلامية على أن ترتيب الآيات في سورها على ما هو عليه المصحف اليوم توقيفي بأمر من النبي، فقد كانت الآيات تنزل عليه، وجبريل يدله على مواضعها، ويبلغها رسول الله صحابته، ويأمر كتاب الوحي بنسخها في مواضعها، وكان جبريل يعارضه بالقرآن في رمضان كل عام مرة، حتى عارضه في السنة التي توفي فيها رسول الله مرتين مرتبا الآيات كما هي عليه الآن، وقد حفظه الصحابة بعده وأجمعوا على هذا الترتيب.

يذكر الإمام السيوطي رحمه الله تعالى هذا الإجماع بقوله: الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك[٥٦].

ويقول أبو جعفر بن الزبير رحمه الله تعالى: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم، وأمره من غير خلاف بين المسلمين[٥٧].

---

[٥١] سورة يونس: ٩٢.

[٥٢] سورة المؤمنون: ٥٠.

[٥٣] سورة النحل: ١٠١.

[٥٤] الزيات، احمد وآخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، المجلد الأول، ص: ٣٥.

[٥٥] الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان**، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، المجلد الأول، ص: ٣٣٩.

[٥٦] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م، المجلد الأول، ص: ٢١١.

[٥٧] القطان، مناع خليل، **مباحث في علوم القرآن**، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ،١٤٢٠ه، ص: ١٣٩.

وكذلك ما ثبت من قراته عليه الصلاة والسلام لسور عديدة كسورة البقرة، وآل عمران، والنساء، وغيرها على الترتيب الوارد في المصاحف.

المطلب الثالث– أقسام علم المناسبات، وفيه ثلاثة محاور:

الناظر في القرآن الكريم، والمطلع على بعض علومه الشارحة له، يجد بكل سهولة أن المناسبات في القرآن الكريم أنواع ثلاثة، وذلك بسبب إما أن تكون المناسبة في السورة الواحدة، بحيث تكون بين مقاطع السورة أو بين آية وأخرى منها، أو بين أولها وآخرها مثلا، إلى غير ذلك مما ستأتي في محلها إن شاء الله، أو بسبب كون المناسبة تكون بين السورتين، أو بسبب كونها عامة، على التفصيل الذي سنذكره للمناسبات بعد قليل، وإليك بينا هذه الأنواع الثلاثة بشيء من التوضيح.

المحور الأول–المناسبات في السورة الواحدة:

ويتضمن هذا النوع من المناسبات أقساماً منها:

أولاً– المناسبة بين أول السورة وخاتمتها:

ويقصد بها التناسب بين ما تفتتح به السورة وما تختتم به، سواءً في الألفاظ أو في المعاني، ويظهر هذا واضحاً جلياً في كثير من سور القرآن الكريم، بل قد يكون طابعاً عاماً في القرآن الكريم.

مثاله: قوله تعالى في أول سورة البقرة: " الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون[٥٨]"، ثم قال في آخر السورة: " آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ..[٥٩]"، فهو في أول السورة يذكر صفات المتقين التي يتميزون بها، وفي آخرها يبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه قد امتثلوا تلك الصفات وتحلوا بها.

ومثال آخر وهو ما ذكره الإمام السيوطي رحمه الله تعالى[٦٠] في سورة النحل أنها بدأت بالنهي عن الاستعجال في قوله تعالى: "واصبر وما صبرك إلا بالله[٦١]"، وختمت بالأمر بالصبر في قوله تعالى:" أتى أمر الله فلا تستعجلوه[٦٢]".

---

[٥٨] سورة البقرة: ٣.

[٥٩] سورة البقرة: ٢٨٥.

[٦٠] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع**، قرأه وتممه الدكتور عبد المحسن العسكر، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٣٤هـ، ص: ٥٣.

[٦١] سورة النحل: ١.

[٦٢] سورة النحل: ١٢٧.

ومثال آخر وهو ما جاء في سورة المؤمنون حيث افتتحت السورة بذكر فلاح المؤمنين في قوله تعالى: " قد أفلح المؤمنون[٦٣]"، واختتمت بنفي فلاح الكافرين في قوله تعالى:" ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون[٦٤].

ثانياً– المناسبة بين الآية والتي تليها:

وهذا النوع من المناسبات يُظهر للقارئ مدى الترابط والتناغم بين آيات السورة الواحدة، بحيث ينتظم أولها مع آخرها في عقد فريد تتجلى فيه روعة المعاني وحسن السياق.

ومثاله: قوله تعالى:" إياك نعبد وإياك نستعين" في سورة الفاتحة، فإنه لما ذكر في أول السورة استحقاق الله تعالى لكل المحامد، وكونه رباً للعالمين، وهو الرحمن الرحيم، وهو مع كل هذا الملك المتصرف في اليوم الذي لا ملك فيه لأحد إلا الله، كان من شأن كل عاقل أن يقبل على من هذه صفاته وتلك عظمته بالعبودية له والذل الكامل لجنابه العظيم، ملتجأً إليه، طالباً منه العون المدد، ثم إنه لما حمد وأثنى ومجد واعترف بالعبودية، ناسب أن يستشرف للطلب من ذلك الرب المستعان فيقول:" اهدنا الصراط المستقيم[٦٥].

وكذلك ما جاء في سورة الحج من ذكر العبودية الاختيارية في قوله تعالى: " إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد[٦٦]"، ذكر بعدها العبادة القهرية لله تعالى في قوله: " ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر ...[٦٧].

ثالثاً– المناسبة بين حكمين في الآيات أو الآية:

وذلك كما في آيات الاستئذان حين أعقبها بالأمر بغض البصر، فإن الاستئذان إنما جعل من أجل ألا يقع بصر المستأذن على عورة، ولو صادف إن وقع فإن غلى المستأذن أن يغض البصر، ثم إن العلاقة بين الحكمين بينه، إذ فيهما ما تكون به العفة وحفظ العورات في المجتمع المسلم.

---

٦٣ سورة المؤمنون: ١.

٦٤ سورة المؤمنون: ١١٧.

٦٥ سورة الفاتحة: ٦.

٦٦ سورة الحج: ١٧.

٦٧ سورة الحج: ١٨.

رابعاً– المناسبة بين اسم السورة ومضمونها:

الأسماء هي قوالب المعاني، وهي عنوان لمضمون الأشياء، وأسماء سور القرآن الكريم هي عناوين للمضمون الذي تضمنته السورة، ومن خلالها يتضح للقارئ أو السامع أهم موضوع تناولته السورة أو أشارت إليه.

ومثاله: المناسبة بين مضمون سورة الكهف واسمها، فإن السورة قد ذكرت أنواع الفتن التي تمر بالمرء، إذ ذكرت فيها الفتنة في الدين في قصة الفتية، وفتنة الجلساء في قوله تعالى: "واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي[٦٨]"، وفتنة المال في قصة صاحب الجنتين، وفتنة العلم في قصة موسى والخضر، وفتنة السلطان في قصة ذي القرنين، وفتنة القوة والكثرة في خبر يأجوج ومأجوج، وذكرت هذه السورة المخرج من كل واحد من هذه الفتن، فكأنها كهف لمن اعتصم بها من الفتن.

المحور الثاني–المناسبات بين السورتين:

ويتضمن هذا النوع من المناسبات أقساما كثيرة كذلك، منها:

أولاً– المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة التي قبلها:

ويمكن حصول المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة التي قبلها بحيث تبدأ السورة بموضوع قد اختتمت به سابقتها.

ومثاله هو ما جاء في آخر سورة الإسراء في قوله تعالى: " وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ..[٦٩]"، وفي أول سورة الكهف التي تليها قال: " الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجاً...[٧٠]".

ومثال آخر وهو ما ذكره ابن الزبير الثقفي[٧١] عند ذكر التناسب بين سورتي القارعة والتكاثر قائلا: " لما تقدم ذكر القارعة وعظيم أهوالها، أعقبت بذكر ما شغل عنها، وصد عن الاستعداد لها، وألهى عن ذكرها، وهو التكاثر بالعدد وبالقرابة والأهلين فقال:" ألهاكم التكاثر[٧٢]".

---

[٦٨]– سورة الكهف: ٢٨.

[٦٩] – سورة الإسراء: ١١١.

[٧٠]– سورة الكهف: ١.

[٧١]– ابن الزبير، أحمد بن ابراهيم، **البرهان في تناسب سور القرآن**، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ، ص: ٢١٧.

[٧٢]– سورة التكاثر: ١.

ثانياً– المناسبة بين مضمون السورة والتي تليها:

ومثاله في سورة الضحى ذكر للنعم الحسية على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي سورة الشرح ذكر للنعم المعنوية عليه، وأيضاً ما جاء في سورة البقرة من ذكر صفات الطوائف الثلاثة المذكورين في سورة الفاتحة، وهم الذين أنعم الله عليهم والمقصود بهم المسلمون، والمغضوب عليهم وهم اليهود، والضالين وهم النصارى.

والمتأمل في آيات سورة البقرة يرى أن الحديث عن الطائفتين الأوليين وهم المسلمون واليهود كان بشكل واسع، بينما يرى أن سورة آل عمران التي تلي البقرة ذكرت الطائفة الثالثة، وهم النصارى فيما يقارب ١٢٠ آية.

ثالثا–مناسبات عامة.

والمراد بالمناسبات العامة هي المناسبات التي يذكرها العلماء مطلقة في القرآن، وهي كثيرة جداً منها على سبيل المثال لا الحصر: افتتاح سورتين بقوله: " يأيها الناس" وهما سورتا النساء والحج، وذكر في الأولى بدء الخلق والحياة للإنسان: " يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة..[٧٣]"، وفي سورة الحج ذكر لنهاية الحياة وبداية حياة أخرى: " يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم[٧٤]".

الخاتمة:

نعيد إلى ذاكرة القارئ الكريم ما قلناه في أول البحث من أن الخاتمة تخصص عادة لأهم النتائج التي يتوصل إليها الباحث من خلال تعايشه في رحاب الموضوع، ودراسته له، دراسة علمية موضوعية، وبعد هذا العرض المختصر لأهم ما يتعلق بعلم المناسبات يمكن سرد أهم نتائجه فيما يلي:

١- علم المناسبات من العلوم المهمة التي من خلالها يتضح لنا بعض أوجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم.
٢- في علم المناسبات من الفوائد الجمة والمقاصد الحسنة ما يجعل النفوس تتشرف للاستزادة منه أكثر.
٣- القول الراجح في علم المناسبات هو الجواز، بشرط عدم التكلف مع التمكن من علوم القرآن واللغة.
٤- الحرص على ربط المواضيع والأفكار والترتيب والتسلسل بينها من أهم الأسباب التي تؤدي إلى فهمها وعدم نسيانها.
٥- اهتمام العلماء بعلم المناسبات في كل زمان ومكان دليل على أهميته وأنه لا غنى عنه لكل من يريد أن يفهم القرآن الكريم أكثر، ويطلع على أسراره ما أمكن.

---

[٧٣] – سورة النساء: ١.

[٧٤] – سورة الحج: ١.

٦- الاهتمام بالقرآن الكريم وعلومه هو نوع من أنواع الحفظ الذي تكفل الله تعالى به لحفظ كتابه الكريم في قوله:" إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون".

٧- المناسبات في القرآن الكريم متعددة الأشكال، ومتنوعة الأهداف، منها:

- ما تكون في السورة الواحدة.
- ما تكون بين مطلع السورة وخاتمتها.
- ما تكون بين اسم السورة ومضمونها.
- ما تكون آية و آية.
- ما تكون بين السور وترتيبها في المصحف. وغيرها.

المراجع

القرآن الكريم.

ابن فارس، أحمد بن فارس القزويني، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م

ابن عاشور، الطاهر بن محمد، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد** (التحرير والتنوير)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ه.

ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة،١٤١٤ه.

ابن الزبير، أحمد بن ابراهيم، **البرهان في تناسب سور القرآن**، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ.

أبو شهبة، محمد بن محمد، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ه.

أبو داود، **سنن أبي داود**.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، **شرح السنة**، تحقيق: شعيب الأرنوط- محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

البقاعي، ابراهيم بن عمر، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولىـ، ١٩٨٧م.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، العدد ٢٢.

بازمول، محمد بن عمر، **علم المناسبات في السور والآيات**، المكتبة الملكية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

دراز، محمد بن عبد الله، **النبأ العظيم**، دار القلم للنشر والتوزيع، طبعة مزيدة ومحققة، ٢٠٠٥م.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، العدد ٣٢ جزءا، الطبعة الثالثة بيروت، ١٤٢٠هـ.

الزيات، احمد وآخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

الزركشي، بدر الدين محمد، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٩٥٧م.

الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، العدد أربعة أجزاء، الطبعة الثالثة، بيروت،١٤٠٧ هـ.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، **الاتقان في علوم القرآن**، التحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد أربعة أجزاء، القاهرة، ١٩٧٤.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع**، قرأه وتممه الدكتور عبد المحسن العسكر، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٣٤هـ.

الشهري، عبد الرحمن بن معاضة، **علم المناسبات في القرآن**، بحث منشور في الإنترنت، موقع رسالة الجامعة.

الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار ابن كثير، دمشق، طبعة ١، ١٤١٤هـ.

الفراهي، عبد الحميد، **تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**، الدائرة المحمدية، الطبة الأولى، الهند ٢٠٠٨.

القطان، مناع خليل، **مباحث في علوم القرآن**، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ،١٤٢٠ه.

مصطفى مسلم، **مباحث في التفسير الموضوعي**.

محمد بن عبد العزيز الخضيري، http://islamselect.net/mat/533

مجلة البيان، اصدار المنتدى الإسلامي، العدد: ١٤٦.

مجلة البحوث والدراسات القرآنية – بحث بعنوان ترتيب سور القرآن.